تأسيس مدرسة إكليريكية في دير الزعفران ـ تركية

رسالة للمثلث الرحمة والخالد الذكر العلاّمة مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم.

سيادة حبيبنا الروحي مار فيلكسينوس يوحنا مطران ماردين الجزيل وقاره، وحضرات أبنائنا الروحيين القسوس والوجهاء وجميع الوجوه المكرّمين.

بعد إهداء البركة الرسولية، والأدعية الأبوية، أولاً نتفقّد خواطركم العزيزة، راجين بفضل اللّه سبحانه وعنايته أن تكونوا بصحة موفورة ونعومة البال وثانياً نعلمكم:

أن الحاجة أصبحت ماسة جداً لتهذيب الإكليروس الذي على خدمته الروحية يتوقّف خلاص نفوس المؤمنين، وبما أنه لا يتولّى معالجة أجسام إلا أطباء ماهرون في علم الطب، مختبرون أوضاعه، فكم بالحري لا يجب أن يقلّد الكهنوت المقدّس إلاّ رجالاً مع تزينهم بمخافة اللّه وتحليهم بحسن الأخلاق، وغيرتهم على مجد اللّه، وعمران الكنيسة المقدسة، يكونون حاصلين من العلوم الدينية والشرعية والأدبية علىسهم كافٍ ونصيب وافٍ؟ ولما كان هذا الغرض الشريف لا يتم إلاّ بالتعليم والدرس سنوات معدودة، وجب أن ينشأ المرشحون للكهنوت في مدرسة لاهوتية.

وأنتم أيها الأبناء الروحيون بما لكم من الفطنة والخبرة والغيرة، ترون أن كنيستنا بحاجة شديدة إلى إنشاء مدرسة ولو بدرجة متوسطة لأنه لم يبقَ في بلادكم مدارس أهلية تلقّن اللغة السريانية والطقوس البيعية وما هو ضروري من العلوم الدينية والشرعية، ومن هنا أصبحت الكنائس يخدمها قسوس قليلو التحصيل من كل ما ذكرناه، وحصل من هذا النتيجة غير المستحبة التي توجب التذمر والقلق من الرؤساء والمرؤوسين، وجهالة غير قليلة عند المؤمنين والمؤمنات في أمور دينهم، بحيث ينشأ أولادهم على محبة كنيستهم والتمسّك بها على طريقة العادة والتقليد أخذاً عن آبائهم. وهذا لا يكفي لنفس المؤمن وللدفاع عن حقائق الدين التي يجب أن تحلّ في الصدور مكانة أولى عقيدة راسخة، لا تزعزعها الأيام، ولا تعبث بها ظروف الزمان وتقلب العادات وتبدّل الأوضاع الاجتماعية، خصوصاً في عصرنا هذا.

ومن المعلوم أنه إذا دامت الحالة على هذا الضعف والنقصان وفقد الكهنة، تكون الديانة المقدسة والعقيدة الأرثوذكسية الصحيحة معرّضة إلى عدة أخطار في المستقبل القريب، وهذا الذي نخشاه نحن ولا يرضى به مؤمنون أرثوذكسيون وعقلاء وغيّورون أمثالكم.

نقول هذا لأننا رأينا أن المدرسة الإكليريكية التي أنشأناها في زحلة منذ عشر سنوات ثم نقلناها إلى الموصل لم يدخلها تلميذ واحد من بلادكم بالرغم من تنبيهنا على الجميع أكثر من مرة، وأنه لا يسهل لبلادكم الانتفاع بها مثل الأبرشيات القريبة إلينا.

فلا يعترض أحد أن أبناء ملتنا العزيزة في بلاد الجمهورية التركية أصبح قليلاً عددهم وهم على توسّط أحوالهم المادية وأسباب معايشهم يخافون من الإقدام على إنشاء مدرسة مثل هذه لا تقوم إلاّ بالمال الوافر، وربما لا يقبل عليها إلاّ الضعفاء، فتكون نفقاتها كثيرة وثمراتها قليلة.

قلنا لا يعترض أحد هذا الاعتراض، لأنه وإن كان وجيهاً لكنه لا ينطبق علينا، لأن الكنيسة بحاجة إلى قسوس متعلّمين مهذبين ليحسنوا القيام بفرائض درجتهم المقدسة، ولا يمكن أن تبقى وتثبت كنيسة بدون قسيس، ما عدا الضرورة القصوى لتهذيب رهبان يتخرّج منهم مطارنة للأبرشيات، وإذا كانت الحاجة إلى قسيس، هذا فكم تكون الحاجة إلى رئيس الكهنة الذي هو الأب الروحي للقسوس والرعية؟ وكم تكون الحاجة ملزمة بأن يكون المرشّح لرتبة رئاسة الكهنوت الجليلة ما عدا الورع والفضائل السامية عالماً بالعلوم اللاهوتية والشرعية؟ ليصلح أن يصير رئيس كهنة حقيقياً لتعليم أصول الدين، ولحفظ الإيمان، وحاكماً كنسياً شرعياً متفقّهاً ليعرف كيف يحكم في الدعاوى الكنسية والزواجية، ويدبّر شعب اللّه المختار تدبيراً صالحاً.

فمهما يكن عدد الشعب قليلاً، وحالته المالية متوسطة، لا غنى لنا عن أن ننفق من أوقافنا ومن جيوبنا أموالاً معينة وتبرعات اختيارية لهذا المقصد الشريف والحيوي الضروري، وإننا لا نقصد أن ننشئ كلية كثيرة الطلاب، ولكن مدرسة إكليريكية صغيرة يتراوح عدد تلامذتها بين 12 ـ 15، وتكون مدتها من خمس إلى ست سنوات، يدخلها التلميذ ابن نحو خمس عشرة سنة، ويخرج منها ابن نحو إحدى وعشرين سنة.

تدرّس فيها اللغة السريانية وآدابها، والألحان الكنائسية، واللغة التركية وآدابها، واللغة العربية وآدابها، ومبادئ العلوم الضرورية، وتعليم مسيحي مفصّل، أو ما نسمّيه «مختصر علم اللاهوت» وخلاصة الشرع الكنائسي والذي نسمّيه (الحق القانوني) مع التمرين على الوعظ.

فلهذه المدرسة يلزم مدير ومرشد وهاتان الوظيفتان نعهد بهما إلى أحدكم سيادة مطران أبرشيتكم لكفايته المعروفة. ويقتضي لها استاذان أحدهما لتعليم السريانية والطقوس والعلم الديني وثانيهما لبقية اللغات والعلوم، وهذان الأستاذان يجب أن يتناولا راتباً شهرياً كافياً، ويقتضي لهما طبّاخ وخادمان برواتب معلومة.

أما الموضع فلا نرى له أوفق وأليق من دير الزعفران المقدس، رحم اللّه

من أسسه وأنشأه وجدّده وتبرّع في سبيل عمارته على مدى الاجيال، وجعله اللّه بعنايته عامرا إلى الأبد.

لما باشرنا بمخابرة أولادنا أهل طورعبدين في هذا الموضوع، وتفاوض نائبنا القس جبرائيل مع القسوس والوجوه، جاوبنا انهم يقررون ان تكون لهم مدرسة خاصة في دير مار أبروهم، ومع هذا فإنهم لأمرنا طائعون، ونحن لا نناسب أن ينفرد طورعبدين وحده بمدرسة، لأنه لا يستطيع تدبيرها، والدير المذكور ليس فيه من العمارة مايسع التلامذة ـ كما أننا لا نناسب أن تكون في دياربكر وإن كانت في قلايتها العامرة غرف كافية وجاهزة ــ إذ موضعها نريد أن يكون في ديرنا ولا نكلف الدير عليها الا الماء والحطب، وتكون مائدتها خاصة ويبقى التلاميذ السنة كلها في المدرسة حتى في الصيف.

أما النفقات، فبالطبع ستكون على الابرشيات الثلاث، ماردين وطورعبدين ودياربكر، منها من الاوقاف ومنها من المفروض المعين والتبرع الاختياري، والمبلغ المفروض على المؤمنين يجب أن يدفع بصورة ثابتة على أيدي لجان ثلاث تؤلف في كل من هذه الأبرشيات بمبلغ معين على كل منها ــ ونحن نقدر نفقاتها سنويا بنحو ثمانية آلاف ليرة تركية، وليس هذا بكثير على الأبرشيات الثلاث ـ ماعدا النفقات الاستعدادية للتأثيث من الفرش والسرائر والأواني: وهذه تكون مرة واحدة، وتؤلف منكم لجنة قوامها أربعة وجهاء اتقياء يختارهم المطران المدير برأيه وآراء مجلس ماردين الملي أو وجهائها، ووظائفهم: أمين صندوق، وكاتب، وناظر، ومحاسب ـ واللجنة تقوم بمصالح المدرسة تحت اشراف المدير ومعه ترفع لنا تقريراً سنوياً عن سير المدرسة وأحوالها، وتكاتبنا في مصالحها كلما اقتضت الحال ــ ويشرف معها ايضا لجنتان من دياربكر وطورعبدين، تجتمعان معها مرتين في السنة، وتؤلف كل منهما من عضوين.

ونظراً إلى اتساع طورعبدين وكثرة قسوسه، نرى أن يكون نصف عدد الطلاب منه، والنصف الثاني من ماردين ودياربكر ــ وتحصلون للمدرسة إجازة رسمية من الحكومة التركية بحسب قانون البلاد .

من جهة الكتب نقول: الكتب الدينية والسريانية، والاشحيم، وطقس القداس، والتعليم المسيحي المختصر والمطول الذي وضعه ولدنا الربان بولس واسمه (البنفسجة الذكية)، والدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة وامثالها نحن نهديها، ونبعث ايضا كتبا موافقة لتدريس اللغة العربية.

وبروغرام الدروس هو خلاصة بروغرام مدرستنا الاكليريكية في الموصل وشروط صفات الطلاب كذلك ترسل لكم بحسب نظام المدرسة المذكورة.

كنا كتبنا إلى احدكم المطران، والآن رأينا وضع الفكر بالعمل ان نكتب لكم جميعا كتابنا هذا المفصل لتجتمعوا مرتين أو ثلاثا وتتذاكروا فيه مذاكرة كافية وتقرروا الرأي الموافق، وتجاوبونا برسالة رسمية تمضونها كلكم،

لنكون على بصيرة ـ واستناداً إليها نعود نكتب إلى طورعبدين وديـاربكر الـتي لم نكتب لها بعد في هذا الموضوع، آملين ان تتوحد الآراء وتجمع على العمـل بهذا المشروع المقدس، نفعا للكنيسة، وقياما بـالواجب الـديني وقضـاء لحـق الملة، واحتياطـا للمسـتقبل، منبهين الجميـع إلى هـذا الـواجب الـذي هـو في ذمتهم ـ

فإلى الغيرة الدينية والحماسة الملية، والمحبة والمعاضدة الاخوية ندعوكم بكتابنا هذا ايها البنون الروحيـون الغيـورون والمبـاركون، ونحثكم على النسـج على منوال اسـلافكم المرحـومين واهلكم الطيـبين، الـذين عضـدوا الكنيسـة المقدسـة بتقـواهم وتكـاتفهم وكـرمهم، ومحبتهم وطـاعتهم وبـذلهم الغـالي والرخيص في سبيل اللّه وبيعته المقدسة ومصلحة اخوتهم ـ

ولستم وانتم اولادهم وحفـدتهم الـذين على غصـونهم نبتّم، وفي حـدائقهم ازهرتم، باقل منهم شهامة، وانقص منهم غيرة وسخاء، وهذه الاديـار الجليلـة والبيع المقدسة، والقلايات العامرة، وسـائر معاهـد الملـة الكبـيرة والصـغيرة شاهدة على تقواكم وغيرتكم ومحبتكم للّه وللدين وللعلم المقدس وللعمران ـ

فلا تتأخروا عن هذا العمل، وتشجعوا وخذوا لكم مثالا صـالحا من مشـروع مدرستنا الاكليريكية الـتي لم نبـال بمـا اعـترض في سـبيل انشـائها وتـدبيرها والانفاق عليها والصبر عليها، من الصعوبات والاتعـاب والنفقـات والتضـحيات، لانها بدأت ان تثمر بعض الثمرات ـ

فنســأل اللّــه ان يلهمكم خــيرا وصــواباً ويحفظكم انتم وجميــع اخــوتكم المؤمنين المباركين اهل الأبرشية، ماردين وقراهـا العـامرات: شـعباً مختـاراً، فالحـاً في حقـل التقـوى، عـاملاً في كـرم الملـة، محبـاً للعمـران والاصـلاح والتقدم، راضيا بالحق، مطيعاً طاعـة صـادقة لسـيدنا يسـوع المسـيح ولبيعتـه المقدسة ـ

ونختم مباركين جميـع اولادنـا المؤمـنين اخـوتكم في مـاردين ومـا حولهـا، والنعمة معكم دائماً.

حمص 10 آذار سنة 1949